



لقد فعلت الشتاء فعلها بالحديقة، فكانت أكثر الأشجار جرداً، مررت بقربها والهواء البارد يقص المسمار. كان بجانب سورها بعض الباعة قد افترشوا الأرض ويتحدون الزمهرير، عرضوا بضاعة قليلة لو بيعت فربحها لا يسمن، ولكن قد يغنى من الجوع.

اقربت لابتاع من أحدهم، سأله: ألا تشعر بالبرد؟ رد بصوت مبحوح يظهر مرضًا وتجلدًا: إذا لم أعمل فلن أعود لبنيتي بطعام، لقد تخرجت من المعهد بمعدل عال، وأنا غير مسنود، حلمي بالوظيفة طار لمن من هو أدنى معدلاً بكثير. قطع حديثنا صوت الباعة يصرخون على صاحبنا: أبو أحمد لقد جاؤوا.

حاول المسكين المريض أن يحمل بضاعته بعيداً، ولكن كانت سيارة البلدية التابعة لدولة الصمود قد اقتحمت المكان، ونزل منها بضعة أشاؤس من أبطال الممانعة، وترافقوا ينهبون بضاعة أبي أحمد، وكأنها غيمة من الصهاينة محتمي بالجولان.

توسل أبو أحمد إليهم بصوته الضعيف دون جدو، فقد كان الضابط ينهره ويستهeme بشتائم لا يجيدها إلا أمثاله القادة أو القوادين.

وقف أبو أحمد منزويأً يتفجر أسى وقهراً، كاد يختنق، فأخرج بخاخة للربو تبقيه في حياة ليست بحياة، لقد أهين المسكين ومرغت كرامته بالتراب، ولكن الأصعب عنده خسارته لبضاعته، فكيف سيواجه بناته عندما يتراكمضن نحوه جائعات وهو خالي اليدين.

تجمع الباعة حوله يواسونه، وفهمت منهم أن كل واحد منهم مجبر أن يدفع رشوة يومية للضابط يجبيها موقد من قبله تعادل نصف تعبه تقريباً، ولكن أباً أحمد لم يدفع اليوم لأنه لم يسترزق، فصوته المبحوح هذا اليوم لم يساعد في الترويج لبضاعته، لقد أسقطه المرض فريسة لذئاب الممانعة في هذا البرد القارس.

وعرفت أيضاً أن أحدهم قام بالرد على إهانة الضابط في أحد الأيام فتداعوا إليه كما يتداعى الذباب إلى القصعة، فأوسعوه ضرباً وإذلاً، وصبوه كل بذاءة في الدنيا على (الأخونجي، الخائن) ثم أخذوه ولم يعد.

وعرفت أن هذا الضابط اللص الذي يؤجر أرض الوطن، يعمل جده لمنع رخصة العمل النظامية لهؤلاء المساكين ليستأثر بسرقتهم، ولو منحوا الرخصة فبرشوة وشروط من الإذلال أهمها أن تعمل مخبراً وجاسوساً على أبناء الوطن.

ولكن أفعى ما عرفته أن هذا البائع الممسكين ضحية اليوم هو ابن شهيد على ثرى الجولان، وأن الضابط من قرية بائع الجولان الحالى، باني غابة الذل.

بعد يومين مررت من نفس المكان، تعمدت أن أرى أباًًأحمد، وجدت الباعة، وكان مكانه خالياً، وعلى السور ورقة نعوة باسم (أبو أحمد).

وتحت النوعية تعليق بخط اليد: استراح وبالأسفل: يلعن روحك يا حافظ.

المصادر: